يخدم قضية « المدنية » . وما المدنية ؟ إنها كما يدل اشتقاق الكلمة ، حياة المدن . والمدن تنتعش على حساب الريف ، بعيداً عن المصادر الحقيقية للطاقة الانسانية . ص ٩٦ » ، وبعد أن يحدد « البدوي » موقفه من مصادر الفن يطالب بالعودة إلى .. الشجاعة والشرف . ص ٩٨ » ، ويهاجم مفهوم الزمان لأنه غربي وله علاقة بالانتاج والغربي لا يهتم لا بالزمان ولا بالانتاج « أما انت فتحمل جرثومة مرض غربي : الخوف من الساعة ... ولم ينتج عن ذلك إلا التأكيد الكريه على العمل ، الانتاج ، التحصيل . ص : ٢٠٦ » .

وفي حوار طويل تقابل حضارة الفن والروح نقيضها التي تزدري الفن ولا تعرف الروح ، ويتمثل الشرق / العرب في شخصية هذا الجامعي البدوي الذي يلبس عباءة ويجهل معاناة الروح ، ويشتري المرأة ، و« يشرب كأس الماء دفعة واحدة » ، ويكره الحب لانه « مرض قادم من الغرب . ص : ٢٠٨ » ، « اذهب وقل لسلافة إن توفيق رجل شريف . إنه يريد من زوجته أن تكون مستديرة الوجه ، ضخمة العجيزة ، ولا خيالات عندها عن الحب . ص : ٢٢٩ » .

لا يخفي المقال الروائي هويته ، فهو يتماثل بـ « برايان » الذي يمثل شخصية ـ مقالا ، ويترك اثاره الثقافية صريحة ـ مصخرة في كل سطور الرواية . فالمقال الروائي منذ البدء حتى النهاية محكوم بشكل ثقافي مغترب يحدد الفكر واللغة والاسلوب :

ـ تأملت قدمي شابو وتذكرت تماثيل **ميكيلانجلو** .

ـ شاهدت مشهدا كان **سوينبرن** حريا بدفع المال لرؤيته .

ـ تصور أن يكون هناك اناس يرغبون في سماع محاضرة عن **بايرون** بالعربية :

ـ فتات تشبه **اليزابث باريت** ، بل انها مثلها شاعرة ايضا .

ـ « لقد تصورتها فتاة تشبه **إميليا فيفياني** ، مسجونة « كالطير في قفص » .

تقوم رواية « صيادون في شارع ضيق » ، إذن ، على موضوعتين : الفلسطيني المندمج والتصور الاستشراقي للواقع ، وهي لا تتضمن هاتين الموضوعتين فحسب بل أنتجتهما في شكلهما الفني . إن الأيدولوجيا الثلاثية الابعاد التي تحكم الرواية استطاعت أن تنتج معادلها الفني وأن تقدم نموذجا حقيقيا للثقافة المغتربة . ولكن أين أخفقت الرواية ؟. أخفقت الرواية في تقديم صورة حقيقية عن الحركة الاجتماعية ونضالها ضد السلطة الملكية ، فهي لم ترسم هذه الحركة إلا من الخارج وبشكل سطحي وساذج (انظر شخصية عدنان مثلا) . إن عجز المقال الروائي عن رسم الواقع الاجتماعي قائم في الأيدولوجيا التي تحدد حركته . فايدولوجيا الأنا المغتربة تستطيع أن ترسم حركة الانا وتصادم الشرق والغرب لكنها لا تستطيع أن تعبر عن الواقع الاجتماعي الحقيقي المحدد بمركباته الحية والمشخصة لان علاقتها به لا تتحدد إلا كعلاقة فراق .

السفينة ـ الفلسطيني والذوبان في الكون

في « السفينة » يقود جبرا فلسطينيته في رحلة تأملية تنفتح على المطلق ، فيطل علينا « وديع عساف » من عالمه الرؤيوي ملفعا بالسحاب ووشاح الغامرة ، وتحدق العين في